

تفسير البحر المحيط

@ 253 % (رأت رجلاً أيما إذا الشمس عارضت % .

فيضحي وأما بالعشي فيحضر .

%) .

الضنك : الضيق والشدة : ضنك عيشة يضنك ضناكة وضنكاً ، وامرأة ضناك كثيرة اللحم صار جلدها به . زهرة : بفتح الهاء وسكونها نحو نهر ونهر ما يروق من النور ، وسراج زاهر له بريق ، والأنجم الزهر المضيئة ، وأزهر الشجر بدا زهره وهو النور . .

%) .

{ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ * قَوْمِ * إِنِّي نَسِيتُكُمْ بِهِ * وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَانُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِمْ عَاصِينَ حَتَّى يَمْرُجَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَأْتِئِدَمُ * هَارُونُ مَا * مَذَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَنْ لَا * رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَبِئْسَ لََّا تَأْخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنَّنِي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّيْتُ لِي نَفْسِي * قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَدْخُلَافَهُ * وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الْبَازِي } . .

أشفق هارون على نفسه وعليهم وبذل لهم النصيحة ، وبَيَّنَّ أن ما ذهبوا إليه من أمر العجل إنما هو فتنة إذ كان مأموراً من عند الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن أخيه موسى عليه السلام { اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي } الآية ولا يمكنه أن يخالف أمر الله وأمر أخيه . وروي أن الله أوحى إلى يوشع إني مهلك من قومك أربعين ألفاً فقال : يا رب فما بال الأخيار ؟ قال : إنهم لم تغضبوا لغضبي ، والمضاف إليه المقطوع عنه من قبل قدره الزمخشري من قبل أن يقول لهم السامري ما قال ، كأَنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه قبل أن ينطق السامري بادر هارون عليه السلام بقوله { إِنِّي نَسِيتُكُمْ بِهِ * وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَانُ } . .

وقال ابن عطية : أخبر عز وجل أن هارون قد كان قال لهم في أول حال العجل إنما هي فتنة وبلاء وتمويه من السامري ، وإنما ربكم الرحمن الذي له القدرة والعلم والخلق والاختراع { فَاتَّبِعُونِي } إلى الطور الذي واعدكم الله تعالى إليه { وَأَطِيعُوا أَمْرِي } فيما ذكرته لكم انتهى . والضمير في { بِهِ } عائد على العجل ، زجرهم أولاً هارون عن الباطل وإزالة الشبهة بقوله { إِنَّكُمْ أَفْتِنْتُمْ } ثم نبههم على معرفة ربهم وذكر وصف الرحمة تنبيهاً على أنهم متى تابوا قبلهم وتذكيراً لتخليصهم من فرعون زمان لم يوجد العجل ، ثم أمرهم باتباعه تنبيهاً على أنه نبيّ يجب أن يتبع ويطاع أمره . .

وقرأ الحسن وعيسى وأبو عمرو في رواية وأن ربكم بفتح الهمزة والجمهور بكسرها ، والمصدر المنسبك منها في موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره والأمر { إِنَّ رَبَّكُمْ * الرَّحْمَنُ } فهو من عطف جملة على جملة ، وقدره أبو حاتم ولأن ربكم الرحمن . وقرأت فرقة أنما وأن ربكم بفتح الهمزتين وتخريج هذه القراءة على لغة سليم حيث يفتحون أن بعد القول مطلقاً .

ولما وعظهم هارون ونبههم على ما فيه رشدهم اتبعوا سبيل الغي و { قَالُوا لَنْ نَبْدِرَاحَ } على عبادته مقيمين ملازمين له ، وغيا ذلك برجوع موسى وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم إلى الاستدلال وأخذ بتقليدهم السامري ودلالة على أن { لَنْ } لا تقتضي التأييد خلافاً للزمخشري إذ لو كان من موضوعها التأييد لما جازت التغيية بحتى لأن التغيية لا تكون إلا حيث يكون الشيء محتملاً فيزيل ذلك الاحتمال بالتغيية . .

وقيل قوله { قَالِ يٰٓأَدَمُ * هَارُونَ } كلام محذوف تقديره فرجع موسى ووجدهم عاكفين على عبادة العجل { قَالِ يٰٓأَدَمُ * هَارُونَ } وكان ظهور العجل في سادس وثلاثين يوماً وعبدوه وجاءهم موسى بعد استكمال الأربعين ، فعتب موسى على عدم اتباعه لما رأهم قد ضلوا و { لا } زائدة كهي في قوله { مَا مَنَعَكَ أَنْ * لَا تَسْجُدُوا } . وقال عليّ بن عيسى دخلت { لا } هنا لأن المعنى ما دعاك إلى أن لا تتبعني ، وما حملك على أن لا تتبعني بمن معك من المؤمنين { أف عصيت أمري } يريد قوله { * } { أف عصيت أمري } يريد قوله { * } يريد قوله { اخْلُفْنِي } الآية . وقال الزمخشري : ما منعك أن تتبعني في الغضب [وشدة الزجر على الكفر والمعاصي ،